تفسير إبن كثير

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ

وقوله : (الذين استجابوا الله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) هذا كان يوم " حمراء الأسد " ، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم ، فلما استمروا في سيرهم تندموا لم لا تمموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة . فلما بلغ ذلك رسول االله صلى االله عليه وسلم ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريهم أن بهم قوة وجلدا ، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الوقعة يوم أحد ، سوى جابر بن عبد االله رضي االله عنه - لما سنذكره - فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة الله [عز وجل] ولرسوله صلى االله عليه وسلم .قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد االله بن يزيد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال : لما رجع المشركون عن أحد قالوا : لا محمدا قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، بئسما صنعتم ، ارجعوا . فسمع رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حمراء

الأسد - أو : بئر أبي عيينة - الشك من سفيان - فقال المشركون : نرجع من قابل . فرجع رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فكانت تعد غزوة ، فأنزل االله عز وجل : (الذين استجابوا الله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم)ورواه ابن مردويه من حديث محمد بن منصور ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فذكره .وقال محمد بن إسحاق : كان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال ، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول االله صلى االله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه ألا يخرج معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس . فكلمه جابر بن عبد االله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول االله ، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال : يا بني ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول االله صلى االله عليه وسلم على نفسي ، فتخلف على أخواتك ، فتخلفت عليهن ، فأذن له رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فخرج معه . وإنما خرج رسول االله مرهبا للعدو ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .قال ابن إسحاق

: حدثني عبد االله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلا من أصحاب رسول االله صلى االله عليه وسلم من بني عبد الأشهل ، كان شهد أحدا قال : شهدت أحدا مع رسول االله صلى االله عليه وسلم أنا وأخي فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول االله صلى االله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخي - أو قال لي - : أتفوتنا غزوة مع رسول االله صلى االله عليه وسلم ؟ واالله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول االله صلى االله عليه وسلم ، وكنت أيسر جراحا منه ، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .وقال البخاري : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي االله عنها : (الذين استجابوا الله والرسول) [من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم]) قالت لعروة : يا ابن أختي ، كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر ، رضي االله عنهما ، لما أصاب نبي االله صلى االله عليه وسلم ما أصابه يوم أحد ، وانصرف عنه المشركون ، خاف أن يرجعوا فقال : " من يرجع في إثرهم ؟ " فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير ، رضي االله عنهما .هكذا رواه البخاري

منفردا به ، بهذا السياق . وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن الأصم ، عن العباس الدوري ، عن أبي النضر ، عن أبي سعيد المؤدب ، عن هشام بن عروة ، به ، ثم قال : صحيح ولم يخرجاه . كذا قال .ورواه أيضا من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن البهي ، عن عروة قال : قالت لي عائشة : يا بني ، إن أباك من الذين استجابوا الله والرسول من بعد ما أصابهم القرح . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .وروى ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، وهدبة بن عبد الوهاب عن سفيان بن عيينة ، عن هشام بن عروة به وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان ، به .وقال أبو بكر بن مردويه . حدثنا عبد االله بن جعفر من أصل كتابه ، أنبأنا سمويه ، أنبأنا عبد االله بن الزبير ، أنبأنا سفيان ، أنبأنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال لي رسول االله صلى االله عليه وسلم : " إن كان أبواك لمن الذين استجابوا الله والرسول من بعد ما أصابهم القرح : أبو بكر والزبير ، رضي االله عنهما " .ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده ، لمخالفته رواية الثقات من وقفه على عائشة كما قدمناه ، ومن جهة معناه ، فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة ، وإنما قالت عائشة لعروة بن الزبير ذلك لأنه ابن أختها

أسماء بنت أبي بكر الصديق ، رضي االله عنهم .وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سعد ، حدثني أبي ، [حدثني] عمي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن االله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعد ما كان منه ما كان ، فرجع إلى مكة ، فقال النبي صلى االله عليه وسلم : " إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا ، وقد رجع ، وقذف االله في قلبه الرعب " . وكانت وقعة أحد في شوال ، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة ، فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرح ، واشتكوا ذلك إلى النبي صلى االله عليه وسلم ، واشتد عليهم الذي أصابهم . وإن رسول االله صلى االله عليه وسلم ندب الناس لينطلقوا معه ، ويتبعوا ما كانوا متبعين ، وقال : " إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل " . فجاء الشيطان فخوف أولياءه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه ، فقال : " إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد " . لأحضض الناس ، فانتدب معه أبو بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والزبير ، وسعد ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد االله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا فساروا

في طلب أبي سفيان ، فطلبوا حتى بلغوا الصفراء ، فأنزل االله [عز وجل] (الذين استجابوا الله والرسول من بعد ما أصابهم [القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم]) .ثم قال ابن إسحاق : فخرج رسول االله صلى االله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال .قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة . وقد مر به - كما حدثني عبد االله بن أبي بكر - معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة - مسلمهم ومشركهم - عيبة نصح لرسول االله صلى االله عليه وسلم بتهامة ، صفقتهم معه ، لا يخفون عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك فقال : يا محمد ، أما واالله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن االله عافاك فيهم . ثم خرج ورسول االله صلى االله عليه وسلم بحمراء الأسد ، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول االله صلى االله عليه وسلم وأصحابه وقالوا : أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم . . لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم . فلما رأى أبو سفيان معبدا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ،

يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال : ويلك . ما تقول ؟ قال : واالله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل - قال : فواالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم . قال : فإني أنهاك عن ذلك . وواالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتا من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :كادت تهد من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل تردى بأسد كرام لا تنابلةعند اللقاء ولا ميل معازيل فظلت عدوا أظن الأرض مائلةلما سموا برئيس غير مخذول فقلت : ويل ابن حرب من لقائكمإذا تغطمطت البطحاء بالجيل إني نذير لأهل البسل ضاحيةلكل ذي إربة منهم ومعقول من جيش أحمد لا وخش تنابلةوليس يوصف ما أنذرت بالقيلقال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه .ومر به ركب من بني عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : ولم ؟ قالوا : بعكاظ إذ وافيتمونا . قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الركب برسول االله صلى االله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه ، فقالوا : حسبنا االله ونعم

الوكيل .وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم حين بلغه رجوعهم : " والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب " .وقال الحسن البصري [في قوله] (الذين استجابوا الله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) إن أبا سفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا ورجعوا ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " إن أبا سفيان قد رجع وقد قذف االله في قلبه [الرعب] فمن ينتدب في طلبه ؟ " فقام النبي صلى االله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وناس من أصحاب النبي صلى االله عليه وسلم ، فاتبعوهم ، فبلغ أبا سفيان أن النبي صلى االله عليه وسلم ، يطلبه فلقي عيرا من التجار فقال : ردوا محمدا ولكم من الجعل كذا وكذا ، وأخبروهم أني قد جمعت لهم جموعا ، وأنني راجع إليهم . فجاء التجار فأخبروا بذلك رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فقال النبي صلى االله عليه وسلم : (حسبنا االله ونعم الوكيل) فأنزل االله هذه الآية .وهكذا قال عكرمة ، وقتادة وغير واحد : إن هذا السياق نزل في شأن [غزوة] حمراء الأسد " ، وقيل : نزلت في بدر الموعد ، والصحيح الأول .